

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ للاسْتِغْفَارَ مَكَانَةً فِي الدِّينِ عَظِيمَةً، وَلِلْمُسْتَغْفِرِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَجُوراً كَرِيمَةً، وَثَمَارُ الاسْتِغْفَارِ وَنَتَائِجُهُ الْحَمِيدَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَا يَحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ، وَلِهَذَا كَثُرَتِ النُّصُوصُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ الْمُرشِدَةُ إِلَى الاسْتِغْفَارِ، وَالْحَاطَّةُ عَلَيْهِ، وَالْمَبِيئَةُ لِفَضْلِهِ وَعَظِيمِ أَجْرِهِ.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [التوبة: ١٠١]، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَنْ يَكُونَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وَيَقُولُ تَعَالَى عَنِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّيَ كَمَا إِنَّهُ كَانَتْ غَفَّارًا ﴾ [يونس: ١٠١] وَيُؤْتِي السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ يَدَيْكُمْ لَكُمُجَنَّبَاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [سورة لقمان: ٣٠]، وَالآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى عَظِيمِ شَأْنِ الاسْتِغْفَارِ وَتَنُوعِ فَوَائِدِهِ وَثَمَرَاتِهِ.

جَاءَ فِي الْأَثَرِ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنَّ رَجُلًا شَكَى إِلَيْهِ الْجَدْبَ، فَقَالَ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَشَكَى إِلَيْهِ آخِرَ الْفَقْرِ، فَقَالَ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَشَكَى إِلَيْهِ آخِرَ جَفَافِ بُسْتَانِهِ، فَقَالَ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَشَكَى إِلَيْهِ آخِرَ عَدَمِ الْوَلَدِ، فَقَالَ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِمْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّيَ كَمَا إِنَّهُ كَانَتْ غَفَّارًا ﴾ [يونس: ١٠١] وَيُؤْتِي السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ يَدَيْكُمْ لَكُمُجَنَّبَاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ

أَنْهَارًا ﴾ [١٣٠]، «أَي إِذَا تُبْتُمْ إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفَرْتُمُوهُ وَأَطَعْتُمُوهُ، كَثُرَ الرِّزْقُ عَلَيْكُمْ، وَأَسْقَاكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَنْبَتْ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، وَأَنْبَتْ لَكُمْ الزَّرْعَ، وَأَدَّرَ لَكُمْ الضَّرْعَ، وَأَمَدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنِ، أَي: أَعْطَاكُمْ الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ، وَجَعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ فِيهَا أَنْوَاعُ الثَّمَارِ، وَخَلَّلَهَا بِالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ بَيْنَهَا» (٢)، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى عَظْمِ فَوَائِدِ الاسْتِغْفَارِ وَكَثْرَةِ خَيْرَاتِهِ وَتَعَدُّدِ ثَمَرَاتِهِ. وَهَذِهِ الثَّمَرَاتُ الْمَذْكُورَةُ هُنَا هِيَ مِمَّا يَنَالُهُ الْعَبْدُ فِي دُنْيَاهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْعَمِيمَةِ وَالْعَطَايَا الْكَرِيمَةِ وَالثَّمَرَاتِ الْمُنْتَوَعَةِ، وَأَمَّا مَا يَنَالُهُ الْمُسْتَغْفِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ، فَأَمْرٌ لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

رَوَى ابْنُ مَاجَهَ فِي سُنَنِهِ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»، وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ (٣).

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» وَالضِّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ فِي [الْأَحَادِيثِ الْمَخْتَارَةِ] عَنِ الزَّبِيرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرَهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الاسْتِغْفَارِ» (٤).

(١): ذَكَرَهُ اللَّهُ، الْحَافِظُ فِي: «الْفَتْحِ» (٩٨/١١).

(٢): تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لِابْنِ كَثِيرٍ (٢٦٠/٨).

(٣): سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ (رَقْمٌ: ٣٨١٨)، وَصَحْحَةُ الْعَلَمَةِ الْأَلْبَانِيِّ كِتَابَتَهُ فِي صَحْحِ الْجَامِعِ (رَقْمٌ: ٣٩٣٠).

(٤): الْأَوْسَطُ (رَقْمٌ: ٨٣٩)، وَالْأَحَادِيثُ الْمَخْتَارَةُ (رَقْمٌ: ٨٩٢)، وَحَسَنَةُ الْعَلَمَةِ الْأَلْبَانِيِّ كِتَابَتَهُ فِي الصَّحِيحَةِ (رَقْمٌ: ٢٢٩٩).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا عَنِ بِلَالِ بْنِ يَسَارٍ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ جَدِّهِ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَمًا مِنَ الزَّحْفِ» (٥).

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الاسْتِغْفَارَ يَمْحُو الذُّنُوبَ سِوَاءَ كَانَتْ كِبَائِرَ أَوْ صَغَائِرَ، فَإِنَّ الْفَرَاغَ مِنَ الزَّحْفِ مِنَ الْكِبَائِرِ.

لَكِنْ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ هُنَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالْاسْتِغْفَارِ مَا اقْتَرَنَ بِهِ تَرْكُ الْإِصْرَارِ، فَهُوَ حِينَئِذٍ يُعَدُّ تَوْبَةً نَصُوحًا تَجِبُ مَا قَبْلَهَا، أَمَا إِنْ قَالَ الْمَرْءُ بِلِسَانِهِ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَهُوَ غَيْرُ مَقْلَعٍ عَنِ ذَنْبٍ، فَهُوَ دَاعٍ لِلَّهِ بِالْمَغْفِرَةِ، كَمَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَهَذَا طَلِبٌ مِنَ اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ وَدَعَاءٌ بِهَا، فَيَكُونُ حُكْمُهُ حُكْمَ سَائِرِ الدَّعَاءِ لِلَّهِ، وَيُرْجَى لَهُ الْإِجَابَةُ.

وَقد ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ الْقَائِلَ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ لَهُ حَالَتَانِ: **الْأُولَى:** أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ وَهُوَ مُصِرٌّ بِقَلْبِهِ عَلَى الذَّنْبِ، فَهَذَا كَاذِبٌ فِي قَوْلِهِ: وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ تَائِبٍ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ لَا تَكُونُ مَعَ الْإِصْرَارِ مِنَ الْعَبْدِ عَلَى الذَّنْبِ.

**وَالْحَالَةُ الثَّانِيَّةُ:** أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ وَهُوَ مَقْلَعٌ بِقَلْبِهِ وَعَزَمَهُ وَنَيْتَهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَجَمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى جَوَازِ قَوْلِ التَّائِبِ: أَنْ تَتُوبَ إِلَى اللَّهِ، وَعَلَى جَوَازِ أَنْ يُعَاهِدَ الْعَبْدُ رَبَّهُ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى الْمَعْصِيَةِ

(٥): سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (رَقْمٌ: ١٥١٧)، وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (رَقْمٌ: ٣٥٧٧).

# مكانة الاستغفار و حال المسئفين

وتنوّعت، فإنَّ بابَ التَّوْبَةِ والمَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ واسعٌ، فالله يقول:  
﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ آمَنُوا عَلَي أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ  
جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة: ١٠٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «مَنْ آيَسَ عِبَادَ اللَّهِ مِنَ التَّوْبَةِ بَعْدَ هَذَا  
فَقَدْ جَحَدَ كِتَابَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا» (٧).

ويقول سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة: ١٠٤]،

ويقول: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً

﴿١١٠﴾﴾ [البقرة: ١٠٤]، وقال الله تعالى في حقِّ المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذِّكْرِ

الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥-١٤٦]،

وقال في شأن النصارى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ

وَمِنْ إِلَهِي إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقال في شأن الكفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُوا

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البقرة: ١٠٠].

قال الحسن البصري رضي الله عنه: «انظروا هذا الكرم والجود، قتلوا

أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة» (٨).

فما أعظم فضل الله وما أوسع عطاءه ومغفرته، فنسأله سبحانه

أن يشملنا بعفوه وأن يمنَّ علينا بمغفرته إنَّه هو الغفور الرحيم.

www.al-badr.net

(٧): ذكره ابن كثير في تفسيره (٥٩/٤).

(٨): انظر: تفسير ابن كثير (٥٨/٤).

أبداً، فإنَّ العزمَ على ذلك واجبٌ عليه، فهو مخيرٌ بما عزم عليه في  
الحال، وقد تقدّم أنَّ من شروط قبول التوبة العزم من العبد على  
عدم العودة إلى الذنب، فإن صحَّ منه العزم على ذلك قبلت توبته،  
فإن عاد إلى الذنب مرّة ثانية احتاج إلى توبة أخرى ليغفر له ذنبه،  
ولهذا فإنَّ العبد ما دام كذلك كلَّما أذنب تاب وكلَّما أخطأ استغفر  
فهو حريٌّ بالمغفرة وإن تكرر الذنب والتوبة.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله فيما

يحكي عن ربِّه صلى الله عليه وآله: قال: «أذنب عبدٌ ذنباً، فقال: اللهم اغفر

لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أنَّ له ربّاً

يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر

لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أنَّ له ربّاً

يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر

لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أنَّ

له ربّاً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرتُ

لك» (٦). أي: ما دمت تائباً أوهاً منيماً.

فهذه توبة مقبولة وإن تكرر الذنب، فإنَّه كلَّما كرَّر العبدُ التوبةَ

مستوفياً شروطها قبلت منه، أما الاستغفار بدون توبة فلا يستلزم

المغفرة، بل هو سببٌ من الأسباب التي ترجى بها المغفرة.

ولا ينبغي للعبد أن يقنط من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت

(٦): صحيح البخاري (رقم: ٧٥٠٧)، وصحيح مسلم (رقم: ٢٧٥٨).



شارك في الدعوة إلى الله بنشر هذه المطوية لتكون لك حسنة جارية